PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

سلسلة الدروس الدينية في العقائد الاسلامية

٥

معرفة المعاد

استاذ ناصر مكارم الشيرازي

جعفر صادق الخليلي

Makārim Shīrāzī

سلسلة الدروس الدينية في العقائد الاسلامية

القسم الخامس

معرفة المعاد

(Arab)
BP166
.M342
1986
Zism 5

سلسلة الدروس الدينية في العقائد الاسلامية

القسم الخامس : معرفة المعاد

الاستاذ ناصر مكارم الشيرازي

جعفر صادق الخليلي

قسم الاعلام الخارجي

الطبعة الاولى : ١٤٠٧هـ

ايران ـ طهران ـ شارع سمية ـ موسسة البعثة

تلفن ٨٢١١٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

ان الاصول العقائدية في البحوث التي تهم الجميع تتميز بخصوصية خاصة ، اذ ان لكل امرئ ، بموجب الادلة العقلية والفطرية، ميوله النفسية والمعنوية نحو هذا الاتجاه لذلك يكون من الضروري طرحها على المستوى العام بين الناس .

ثم ان المجتمعات الاسلامية التي تتمسك باصول عقائدها ،قد تواجه الكثير من المشكلات اذا ماجوبهت باصغر الشكوك والشبهات،وذلك لعدم تأصل تلك العقائد في نفوسها تأصلا يستند على الاستدلال المنطقي في اثباتها .

اننا نؤمن بان اصول العقائد الاسلامية يجب ان تنشر

بمختلف لغات العالم وعلى مختلف الاصعدة والمستويات .

ان هذه مجموعة العقائد الخمس التي جاد بها قلم آية الله ناصر مكارم الشيرازي تمتاز بتلك الخصوصية الخاصة فهي مع استنادها على الاستدلال العقلي ،تتميز ببساطة سهلة تجعلها في متناول عامة الناس وخاصتهم .

اننا نتوجه الى الله بالشكر على ان وفقنا لتقديم الترجمة العربية لهذه الدورة العقائدية الى جيلنا الناطق بالعربية .

ونود بالمناسبة ان نحيط القارىء علما بان ترجمة هذه الدورة الى الانجليزية قد خرجت من المطبعة ،والعمل جار في الوقت نفسه لطبعها باللغات التركية الاسطنبولية والفرنسية والاسبانية وبالاوردية ، بعون الله تعالى ،راجين منه مزيدا من التوفيق .

قسم الاعلام الخارجي في مؤسسة البعثة

الدرس الاول

سؤال مهم : هل الموت نهاية أم بداية ؟

معظم الناس يخافون الموت، فلماذا؟

لقد كان الموت يتراءى دائما للانسان في صورة هيولى مرعبة مخوفة تحيل طعم الحياة العذب الى مثل العلقم في فمه كلما خطر له الموت .

انه لايخاف اسم الموت فحسب ، بل يرتعب حتى من ذكر اسم المقابر ،فيسعى الى تزيينها واضفاء البهرجة عليها لعله ينسى ماهيتها الحقيقية .

بالرجوع الى آداب مختلف شعوب العالم نجد آثار هذا الخوف من الموت بادية للعيان ، فيوصف بهيولى الهلاك ،أوبمخلب الموت ،أوبضربة الأجل ،وبأمثال ذلك .

وإذا أرادوا ذكر اسم ميت ،سعوا الى تخفيف الموقف على السامع بتعبيرات مثل " ابعدنا اللّه عن ذلك " أو " اطال اللّه عمرك " وغير ذلك .

فلابد أن نعرف اذن ما الذي يدعو الناس الى أن يخافوا خوفاً دائماً من الموت .

ثم لماذا نجد ،بخلاف ذلك ،أناساً فضلا عن كونهم لايخافون الموت ، فانهم يستقبلونه با لابتسامة ويفخرون بمقدمه ؟

يحدثنا التاريخ عن أناس كانوا يبحثون عن ماء الحياة واكسير الشباب ، وعن أناس آخرين كانوا يهرعون الى جبهات الجهاد بشغف ، يواجهون الموت بترحاب باسم ، وقد يتشكون من طول اعمارهم ، لأنهم كانوا متلهفين للقاء الحبيب ورؤية اللّه . وهذا مانراه اليوم ايضا على جبهات الحق ضد الباطل ،وكيف أن هؤلاء يسرعون إلى ا لاستشهاد وقد وضعوا ارواحهم على اكفهم[1].

لماذا الخوف؟

بالفحص والتمعن نستنتج أن سبب هذا الخوف من الموت عاملان :

١ــ تفسير الموت بالفناء:

ان ا لانسان بطبيعته يهرب من حا لات العدم : فهو يهرب من المرض الذي يعني انعدام الصحة ،ويهرب من الظلام الذي يعني انعدام النور ، ويهرب من الفقر الذي يعني انعدام الغنى ،بل انه يهرب احياناً حتى من الدار الخالية ،ومن ا لانفراد في الصحراء، لانعدام الرفيق فيهما .

والعجيب انه يرهب الميت نفسه ،فهو يرفض مثلا ان يبيت مع جسد ميت في غرفة واحدة ،مع انه لم يكن يخاف هذا الميت قبل ان يموت ! فما السبب ياترى في خوف ا لانسان من العدم وهروبه منه ؟

ان السبب واضح ،فالوجود معقود بالوجود ويألفه ،و لايمكن

ان يتآلف الوجود والعدم يوماً ،لذلك فمن الطبيعي ان نكون غرباء على العدم ونشعر بالخوف منه .

فاذا نحن قلنا بان الموت هونهاية كل شيء،وان بالموت يبلغ كل شيءخاتمته ، عندئذ يحق لنا أن نخشاه وأن نهرب حتى من اسمه ومظهره ، لان الموت يسلبنا كل شيء.

أما اذا اعتبرنا الموت بداية حياة جديدة ،حياة خالدة ، ونراه نافذة تفتح لنا على العالم العظيم ،عندئذ يكون من الطبيعي ألا نخاف الموت ،بل إننا نهنئ الطاهرين الذين يخطون نحوه بثبات مرتفعي الرأس !

الأضابير السود

إننا نعرف أناساً لايرون في الموت معنى الفناء والعدم ، لأنهم لاينكرون الحياة بعد الموت ،ولكنهم مع ذلك يخافون الموت وذلك لأن صحائف أعمالهم قد اسودت الى درجة أنهم إنما يخافون العقوبات الأليمة التي يتوقعونها بعد الموت .

إن لهؤلاء الحق في أن يخافوا الموت . إنهم أشبه بالمجرمين الخطرين الذين يخافون الخروج من السجن ، لأنهم يعلمون ان خروجهم من السجن يعني تعليقهم على خشبة الاعدام ، فهم ، لذلك ،يتشبثون بقضبان السجن ، لالكرههم الحرية ، إنما هم يكرهون الحرية التي تقودهم الى المشنقة.

هكذا حال المسيئين ،فهم يرون انعتاق أرواحهم من هذا السجن الضيق مقدمة لتحمل أنواع العذاب القاسي بسبب ماارتكبوه من أعمال قبيحة ومن ظلم وجور وفساد ،ولذلك فهم يخافون الموت .

أما الذين لايرون في الموت "فناء "، ولايجدون "اضابير "

أعمالهم سوداً، فما الذي يحملهم على الخوف من الموت ؟

إنهم ، بالطبع ،يريدون هذه الحياة بكل كيانهم ويرغبون فيها. ،لكي يستثمروها في سبيل حياتهم الجديدة بعد الموت ،ويعدوا أنفسهم لاستقبال الموت الذي يكون في سبيل رضا الله ، ذلك الهدف الذي يدعو للافتخار والاعتزاز .

نظرتان مختلفتان

قلنا إن الناس فريقان : فريق ،وهم الأكثرية،يخافون الموت ويهربون منه .

وفريق آخر يستقبلون الموت ،الذي يكون في سبيل هدف عظيم ،كالشهادة في سبيل الله ، باحضان مفتوحة ،أوانهم ،في الأقل ،إذا أحسوا بدنو الموت لايداخلهم هم ولاغم ابدا .

والسبب هو إن اولئك وهؤلاء مختلفون في النظرة .

الفريق الاول : هؤلاء إمّا أن يكونوا من الذين لايؤمنون بوجود عالم بعد الموت، وإمّا أنهم لايصدقون بوجوده كل التصديق، ولذلك ينظرون الى لحظة الموت وكأنها لحظة فراقهم لكل شيء. إن مفارقة كل شيء والخروج من النور الى الظلام المطلق أمر صعب اليم، كحال من يخرجونه من السجن ليقدموه للمحاكمة عن جريمة ثابتة عليه ، فهي حال رهيبة من الخوف .

أما الفريق الثاني فيرى الموت ولادة جديدة وخروجاً من محيط الدنيا الضيق المظلم ،ودخولاً الى عالم وسيع نيّر .

إن التحرر من قفص ضيق صغير ،والتحليق في السماء الفسيحة ، والخروج من ذلك المحيط المليء بالخصام والنزاع وضيق النظر والظلم والحقد والحروب ،والدخول الى عالم قد تطهر من كل

هذا التلوث ، لاشك يجعل الموت أمراً مرغوباً فيه عند هذا الفريق الثاني ،فلا يخافون منه .يقول الامام علي عليه السلام :

" والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه " .

أوكما قال الشاعر الفارسي:

مرگ اگر مرد است گو نزد من آی — تادر آغوش بگيرم تنگ تنگ!!
من زاو جاني ستانم جاودان — او زمن دلقي ستاند رنگ رنگ!!

(اذا كان الموت رجلا ،قل : تعال الي
حتى احتضنه احتضاناً شديداً)
(فاني ساتسلم منه روحا خالدة
وياخذ مني رداءً حال لونه)

إذن ليس من المستغرب أن نصادف في التاريخ رجالا مثل الحسين عليه السلام ومثل أصحابه المضحين ،كلما ازدادت لحظة الشهادة قربا منهم، ازدادت فرحتهم واشتد شوقهم الى لقاء الحبيب وتلألأت وجوههم لقرب اللقيا .

وهذا هو نفسه الذي نقرأه في تاريخ حياة الامام علي عليه السلام العظيمة ،فهو عندما تنزل على مفرقه ضربة سيف ذلك المجرم الاثيم ، يصيح قائلاً :

" فزت ورب الكعبة !" .

بديهي أن لايعني هذا الكلام حث الناس على إلقاء أنفسهم في المهالك ،والاغضاء عن هبة الحياة العظيمة التي وهبها الله لهم ، فلايستثمرونها للوصول الى اهدافهم الكبرى . بل المقصود هو حمل الانسان على استغلال الحياة استغلالاً سليماً ،دون ان يعتورهم الخوف من انتهائها ،وخصوصا اذا كانت الغاية هدفاً عظيماً وسامياً.

* * *

فكر وأجب :

١- لماذا يخاف الناس من الموت ؟ أذكر الأسباب .

٢- لماذا يستقبل بعض الناس الموت مبتسمين ويعشقون الشهادة في سبيل الله ؟

٣- بم يمكن تشبيه لحظة الموت ؟ ماشعور المؤمنين المطهرين في تلك اللحظة ،وما شعور المسيئين عديمي الايمان ؟

٤- هل اتفق لك أن رأيت بنفسك اشخاصاً لايرهبون الموت؟ ماهي انطباعاتك عنهم ؟

٥- ماالذي قاله علي عليه السلام بشأن الموت ؟

■ ■ ■

الدرس الثاني

المعاد يعطي الحياة مفهومها

إذا تصورنا هذا العالم بدون العالم الآخر لظهر لنا ان عالمنا فارغ ولا معنى له . إنه أشبه مايكون بافتراض دورة حياة الجنين بدون خروجه من تلك الحياة الى هذه الحياة الدنيا .

ان الجنين الذي يعيش في رحم امه ،ويقضي في هذا السجن الضيق والمظلم شهوراً عدة ، ليأخذه العجب حقاً لو انه اوتي عقلا وحكمة ليتفكر بهما في أمره وكونه في سجنه ذاك :

لماذا أنا حبيس في هذا السجن المظلم ؟

لماذا علي أن اخوض في هذه المياه والدماء ؟

مانتيجة ذلك ؟

من الذي ارسلني ؟ ولماذا ؟

أما اذا قيل له : انك تقضي هنا فترة موقته ، تتشكل فيها اعضاؤك ،فتقوى ،وتصبح قادراً على الحركة والسعي في عالم كبير آخر ، وان قرار خروجك من هذا السجن سوف يصدر بعد انقضاء تسعة اشهر ،فتضع قدمك في دنيا فيها شمس ساطعة ،وقمر منير ،

واشجار خضر ،ومياه جارية،وكثير من النعم الاخرى،عندئذ سيتنفس الجنين الصعداء ويقول : الآن ادركت فلسفة وجودي في هذا السجن!

فهذه الدنيا مقدمة ، انها منصة القفز ،انها المدرسة التي تعد المرء لدخول الجامعة الكبيرة .

أما اذا قطعت علاقة حياة الجنين بالحياة في هذه الدنيا ، لغرق كل شيء في الظلام ولم يعد له اي معنى ، ولكان السجن رهيباً ومستقبل السجين أليما .

كذلك هي العلاقة بين الحياة في هذه الدنيا والحياة بعد الموت . ماالداعي الذي يدعونا ان نظل نتقلب في هذه الدنيا سبعين سنة ، أو أقل أوأكثر ، متحملين العذاب والعناء، نقضي فترة من الزمن نعاني من قلة التجربة والمعرفة حتى ننضج ،ونقضي فترة اخرى ندرس ونتعلم ، وما أن تنتهي مرحلة النضج والتعلم حتى نجد ثلوج الكهولة قد حطت على رؤوسنا !

ثم ماالهدف من كل هذا ؟ ألكي نأكل ونلبس وننام ، ثم لكي نكرر هذا عشرات السنين ؟ أفهل هذه السماء السابعة . وهذه الارض الواسعة،وكل هذه المقدمات والدرس واختزان المعلومات والتجارب ، وكل هؤلاء الاساتذة والمربين ،لم يكونوا إلا للأكل والشرب واللبس في هذه الحياة المنحطة المتكررة ؟

هنا تتأكد عبثية هذه الحياة وفراغها عند اولئك الذين لايؤمنون بالمعاد ، لانهم لايمكن ان يتصوروا هذه الأمور التافهة هي الهدف والغاية من الحياة ،وهم في الوقت نفسه لايعتقدون بوجود حياة بعد الموت حتى تكون هي الغاية .

لذلك نجد أن كثيراً من هؤلاء يلجأون الى الانتحار للخلاص من حياة كهذه عديمة المعنى والهدف . .

أما اذا صدقنا أن الحياة " مزرعة "الآخرة ،وأن علينا أن

نباشر بالبذر هنا حتى نحصد الغلة في حياة أبدية خالدة .

واذا علمنا أن الدنيا " جامعة " علينا ان نكتسب منها المعرفة لنعد انفسنا للعيش في دنيا خالدة ،وأن هذه الدنيا ليست سوى " جسر " للعبور .

عندئذ لاتكون هذه الدنيا فارغة ولاعبثا لامعنى له ، بل سوف نراها فترة تمهيدية واعدادية لحياة خالدة وأبدية تستحق منا أكثر من كل هذا، الذي نبذله من أجلها .

نعم ، إن الايمان بالمعاد يمنح الحياة معنى ومفهوماً، ويخلصها من " الاضطراب " و" القلق " و" العبثية ".

الايمان بالمعاد عامل تربوي

ان للاعتقاد بوجود محكمة العدل العظمى في الآخرة تأثيرا كثيرا في الحياة،بالاضافة الى ماسبق قوله .

أفرض أنهم أعلنوا في البلاد أنه اذا ارتكب الناس أي جرم في اليوم الفلاني من السنة فلن يعاقبوا ولن يذكر ذلك في صحيفة أعمالهم ، وأن لهم أن يقضوا يومهم بكل اطمئنان ، لان رجال الشرطة سوف يكونون في اجازة ،وسوف تتعطل المحاكم ،وعندما تعود الحياة العادية الى مجراها الطبيعي في اليوم التالي فان جرائم اليوم السابق سوف تنسى .

لكم ان تتصوروا كيف سيكون حال المجتمع في ذلك اليوم !

إن الايمان بيوم القيامة هو الايمان بدار عدالة عظمية لايمكن مقارنتها بمحاكم هذه الدنيا .

أما خصائص محكمة العدل الإلٰهية فهي :

١- انها محكمة لاتتأثر بالوساطات ،ولا بالمحسوبيات

ولاينخدع قضاتها بالأدلة المزيفة .

٢- انها محكمة لاتحتاج الى المراسيم والتشريفات السائدة في محاكم الدنيا ،ولذلك فليس فيها تأجيلات وتأخيرات ،بل تنظر في القضايا بسرعة البرق وتصدر احكامها بمنتهى الدقة .

٣- انها محكمة لاتستند إلّاالى اعمال الشخص نفسه ،اي إن الاعمال تحضر هناك وتثبت علاقتها بفاعلها بحيث لايمكن انكارها.

٤- انها محكمة الشهود فيهااعضاء المتهم : يده ورجله واذنه وعينه ولسانه وجلده، وحتى أرض الدار وأبوابها وجدرانها حيث ارتكب معصية أوأدى فروض الطاعة ،وهم شهود لايمكن انكارهم كآثار اعمال الانسان الطبيعية .

٥- انها محكمة قاضيها هواللّه العليم بكل شيء،والغني عن كل شيء، والعادل الذي لايضاهي عدله عادل .

٦- واخيراً ،الجزاء في هذه المحكمة ليس محدداً من قبل، بل أكثر ماتحدده أعمالنا نفسها ، اذ انها تتشكل وتستقر الى جانبنا، فتعذبنا أوترفه عنا وتغرقنا في نعم اللّه .

إن الايمان بوجود محكمة كهذه يؤدي بالانسان الى أن يردد ماقاله الامام علي عليه السلام :

" واللّه لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً، أوأجر في الاغلال مصفداً ، أحب اليَّ من أن ألقى اللّه ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ،وغاصباً لشيء من الحطام ... " [٢]

إن الايمان بهذه المحكمة هو الذي يحمل انساناً ان يقرب حديدة محماة الى يد اخيه الذي كان يرغب بالمحاباة في بيت المال وعندما يرتفع صراخ الاخ يوجه اليه النصيحة قائلا :

" ثكلتك الثواكل ياعقيل !أتئن من حديدة

احماها انسانها للعبه ،وتجرني الى نار سجرها جبارها لغضبه ... "

أيمكن أن ينخدع انسان له مثل هذا الايمان ؟

أيمكن بالرشوة ابتياع ضمير انسان كهذا ؟

أيمكن بالوعد والوعيد حرف مسيرته من طريق الحق الى طريق الباطل ؟

يقول القرآن المجيد :

" ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلّاأحصاها ... " [٣]

وهكذا تنبعث في روح الانسان موجة قوية من الاحساس بالمسؤولية ازاء كل عمل من أعماله تحول بينه وبين الضياع والانحراف نحو الظلم والعدوان .

* * *

فكر وأجب:

١ـ لو لم يكن هناك عالم آخر بعد هذه الحياة الدنيوية المحددة والموقتة ،فما الذي كان سيحدث ؟

٢ـ لماذا يسعى بعض الذين ينكرون المبدأ والمعاد إلى التخلص من الحياة بالانتحار ؟

٣ ـ ماهي الاختلافات بين محكمة يوم القيامة والمحاكم في هذه الدنيا ؟

٤ـ ماتأثير الايمان بالمعاد على أعمال الانسان ؟

٥ـ ماالذي قاله أمير المؤمنين عليه السلام لاخيه عقيل؟ ماذا كان عقيل يريد منه ؟ ماذا كان جوابه له ؟

* * *

الدرس الثالث

في أعماقنا مثال لمحكمة يوم القيامة

لما كانت قضية الحياة بعد الموت ومحكمة يوم القيامة العظيمة تعتبر قضية جديدة على انسان يعيش في هذه الدنيا الضيقة المحدودة فان الله أوجد لنا مثالاً مصغراً لتلك المحكمة في هذه الدنيا ، هي محكمة الضمير ، الآنها كما قلنا صورة مصغرة لها .

دعونا نوضح هذا الموضوع :

يحاكم الانسان على الأعمال التي يقوم بها في عدة من المحاكم . أولاها هي المحاكم البشرية العادية ، بكل مافيها من ضعف ونقص وانحرافات .

وعلى الرغم من إن لهذه المحاكم بعض التأثير في تخفيف نسبة ارتكاب الجرائم ، إلاّ انها لاسس التي أقيمت عليها هذه المحاكم ليست أصلا قمينة بتحقيق العدالة كاملة ، ولايمكن أن ينتظر منها ذلك . فالقوانين الموضوعة والقضاة الفاسدون وتفشي الرشوة والمحسوبيات والمنسوبيات والمناورات السياسية وآلاف الأمور الأخرى تؤدى كلها الى إضعافها الى درجة يمكن القول معها بأن

عدمها خير من وجودها ،وذلك لان وجودها يساعد على تنفيذ مآرب المتنفذين المشؤومة .

وحتى لو كانت قوانينها عادلة .وقضاتها متقين وواعين،فان هناك الكثيرين من المجرمين القادرين على اخفاء معالم جرائمهم أو الماهرين الذين يستطيعون تزييف المستندات والأدلة بحيث لايجد القاضي طريقه بوضوح ،فيجردون القوانين بذلك من محتواها .

المحكمة الثانية التي يحاكم فيها الانسان هي محكمة " نتائج الاعمال " .

إن لأعمالنا آثاراً ونتائج تصيبنا على المدى القريب او البعيد. واذا لم يكن هذا حكماً عاماً ، فانه يصدق في الاقل بالنسبة لكثير من الناس .

لقد رأينا حكومات شيدت حكمها على الظلم والجور والاعتداء وارتكبت كل جريمة شاءت ،ولكنها في النهاية وقعت في فخاخ نصبتها بنفسها وسقطت في شباك هي التي نسجت خيوطها ،فحاقت بها ردود افعالها ، فانهارت وتلاشت حتى لم يبق لها أثر .

ولما كانت نتائج الاعمال هي العلاقة بين العلة والمعلول والعلائق الخارجية ،فقلما استطاع أحد أن ينجو من مخالبها بالتزوير والتزييف ،كما يفعلون في المحاكم العادية .ولكن كل مافي الأمر إن هذه المحاكم ليست عامة وشاملة ،ولهذا فهي ليست قادرة على جعلنا في غنى عن محكمة يوم القيامة .

أما المحكمة الثالثة ،وهي أدق وأقسى من محاكم النوع الثاني ،فهي محكمة الضمير .

في الواقع،بمثلما ان المنظومة الشمسية بنظامها العجيب قد تمثلت مصغرة جداً في قلب الذرة، كذلك يمكن القول بان نظام محكمة يوم القيامة قد تمثل مصغراً في داخلنا .

إن في أعماق الانسان قوة غامضة يطلق عليها الفلاسفة اسم "العقل العملي" ،ويسميها القرآن "النفس اللوّامة" ، ويصطلح عليها المعاصرون باسم " الضمير "أو "الوجدان " .

فما أن يقوم الانسان بعمل ما ،خيراً كان أم شراً ،حتى تعقد هذه المحكمة جلسة بدون ضوضاء ولاتشريفات ،ولكن بكل جد ووفق الاصول ،وتبدأ المحاكمة ،ويصدر الحكم ،ثواباً أوعقاباً ، يتم تنفيذه بهيئة آثار نفسية .

وقد يكون عقاب المجرمين أحيانا من الشدة والقسوة بحيث يتمنى المجرم الموت ويستقبله بكل ترحاب ويفضله على الحياة، ويكتب في وصيته :انتحرت تخلصا من عذاب الضمير!

واحيانا يكون الثواب على عمل الخير كبيرا يشيع الفرحة والسرور في نفس فاعله ويضفي عليه حالة من الاطمئنان والهدوء النفسي مما يصعب وصف مافيه من العذوبة واللذة .

ان لهذه المحكمة خصائص معينة :

١ـ في هذه المحكمة قاضيها وشاهدها ومنفذ أحكامها والمتفرج فيها واحد ،وهو الضمير الذي يشهد ويقضي ويصدر الحكم ثم يشمر عن ساعد الجد وينفذ الحكم .

٢ـ في هذه المحكمة بخلاف مايجري في المحاكم العادية التي يكثر فيها الضوضاء والمظاهر ،وقد تطول فيها محاكمة قضية واحدة سنوات طوالاً تجرى المحاكمة بسرعة البرق في أكثر الحالات إلّاإذا اكتنف القضية بعض الغموض مما يتطلب بعض الوقت لفحص أدلة القضية وإزاحة سجف الغفلة عن نظر القلب ،ولكن بعد التأكد يكون صدور الحكم قطعياً .

٣ـ الحكم في هذه المحكمة يتم في مرحلة واحدة ،فلا استئناف ولاتمييز ،بل هو حكم نهائي باتّ .

٤- هذه المحكمة لاتصدر أحكام العقوبات فقط ، بل هي تحكم بالمكافأة والاثابة . أي إنها محكمة تنظر في قضايا المجرمين والمحسنين معا ، فتعاقب المسيء وتثيب المحسن .

٥- عقوبات هذه المحكمة لاتشبه عقوبات المحاكم العادية، إذ ليس فيها سجون حقيقية ،ولا اسياط للجلد، ولا أعواد للشنق، ولا محرقة للحرق ،ولكن عقابها يكون احياناً حارقاً وسجنها قاسياً بحيث ان الدنيا على سعتها تضيق بالانسان ، كأضيق سجن انفرادي في سجن رهيب .

وعليه ،فان هذه المحكمة ليست تشبه أياً من المحاكم العادية، بل هي من نوع محكمة يوم القيامة. إن هذه المحكمة من العظمة بحيث إن القرآن يقسم بها كما يقسم بمحكمة المعاد ،فيقول :

" لاأقسم بيوم القيامة ولاأقسم بالنفس اللوّامة أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه "[٤]

بديهي إن هذه المحكمة ،لكونها دنيوية على كل حال ،فيها من النقائص ما لايجعلنا نستغني عن محكمة يوم القيامة ،وذلك :

١ - لأن نطاقها ضيق لايستوعب كل شيء، بل تتناسب مع نطاق تفكير الانسان نفسه وإدراكه .

٢- هنالك أشخاص على درجة من المكر والدهاء بحيث إنهم يستطيعون أن يخدعوا حتى ضمائرهم ويغشوها .

٣- قد يكون نداء الضمير في بعض المجرمين من الضعف بحيث إنه لايصل الى مسامعهم .

وهكذا يتبين لنا ان وجود المحكمة الرابعة ،محكمة يوم القيامة ،أمر لابد منه .

* * *

فكر وأجب:

١ـ كم محكمة يحاكم فيها الانسان في الواقع؟

٢ـ ماهي خصائص المحكمة الاولى ،وما اسمها ؟

٣ـ ماهي مميزات المحكمة الثانية ؟

٤ـ ماهي خصائص المحكمة الثالثة ؟

٥ـ عدد نقاط ضعف محكمة الضمير ومميزاتها .

* * *

الدرس الرابع

المعاد في تجليات الفطرة

يقولون إن معرفة النفس تنبع من الفطرة وجبلة الانسان.. وإذا استطلعنا ضمير الانسان الواعي وغير الواعي لتبين لنا إيمانه وتعلقه بمبدأ فيما وراء الطبيعة يراه هو الذي خلق هذا العالم خلق عليم ، ووفق برنامج ، ومن أجل هدف معين .

إلاّ أن هذا لا يقتصر على "التوحيد ومعرفة اللّه" ، فجميع أصول الدين وفروعه يجب أن تكون في الفطرة ايضاً ، وإلاّ فان الانسجام بين اجهزة "التشريع" و "التكوين" لا يتحقق (فتأمل !) .

ولكننا اذا ألقينا نظرة فاحصة في قلوبنا واستطلعنا أعماق أرواحنا ، لسمعنا بأذن أرواحنا تمتمة تقول : إن الحياة لا تنتهي بالموت ، لان الموت نافذة على عالم البقاء!

ولكي تتجلى لنا هذه الحقيقة لابد لنا من التنبه الى النقاط التالية :

١ــ حب البقاء

اذا كان الانسان قد خلق لكي يموت ويفني ، فلابد ان يحب الفناء وان يستمتع بلذة الموت في نهاية عمره .ولكننا نشهد ان ملامح الموت (بمعنى العدم)لم تكن في يوم من الايام مما يثير البهجة في قلب الانسان ، بل إنه ،بخلاف ذلك ،يهرب من رؤية الموت بكل ما أوتي من قوة .

هذه الحقيقة تؤكدها جهود الانسان التي يبذلها لاطالة عمره ، وللبحث عن اكسير الشباب ،وللعثور على ماء الحياة . إن هذا التعلق بأذيال الحياة لدليل على إننا قد خلقنا للبقاء ، لا للموت إذ لو كنا قد خلقنا للفناء لما احببنا الحياة الى هذا الحد .

إن جميع أنواع الحب البناءة الكامنة في اعماقنا تعمل على ايحالنا الى الكمال والتكامل ،ومن ذلك حب البقاء ، فهو يكمل وجودنا .

لاتنسوا أننا نتابع بحث " المعاد " بعد قبولنا بوجود اله حكيم عليم . اننا نؤمن بأن كل ما أودعه الله في داخلنا كان لحكمة وحساب ، ومن هنا لابد أن تكون هناك حكمة في هذا الحب الذي نشعر به للبقاء ، وما هذه الحكمة سوى وجود العالم الذي يكون بعد هذا العالم .

٢ــ يوم القيامة عند الماضين

إن التاريخ الذي يشهد بوجود الاديان على اختلافها عند الأقوام الماضية منذ اقدم الأزمنة ،يشهد كذلك بأن الانسان القديم كان يؤمن ايضا " بالحياة بعد الموت " .

إن الآثار الباقية من الانسان القديم،وخاصة من انسان ماقبل

التاريخ ،فيما يتعلق بطراز تشييد القبور ،وطريقة دفن الاموات، لتدل جميعاًعلى حقيقة كونهم كانوا يعتقدون بالحياة بعد الموت .

وعليه لايمكن اعتبار هذه العقيدة العميقة الجذور في تاريخ البشر عقيدة بسيطة ،ولاكونها عادة لقنت لهم تلقينا .

إننا كلما صادفنا في تاريخ الانسان عقيدة ذات جذور عميقة ومستمرة على امتداد العصور ،أدركنا انهاعقيدة فطرية،إذ إن الفطرة وحدها هي التي تستطيع أن تقاوم مرور الزمان والتقلبات الاجتماعية والفكرية المختلفة ،وتبقى ثابتة . أما العادات والرسوم الخارجية فما أسرع ماتتبدل أويلفها النسيان بمرور الزمان .

إنك إذ تلبس الطراز الفلاني من الملابس إنما أنت تساير العادات أوالرسوم المتبعة،وهذا سرعان مايعتوره التغييروالتبدل بتقادم الزمان وعوامل أخرى كثيرة .

اما حب الأم لطفلها فانه غريزة متمكنة جبلت عليها طبيعتها ، لذلك لاينتابه أي تبدل مهما تغيرت الظروف والأحوال، بل تظل شعلته ملتهبة ، لايخفف منه تعاقب الايام ،ولايحول لونه بغبار النسيان ،وكل جاذبية نابعة من داخل الانسان فهي من الفطرة الكامنة فيه .

عندما يقول العلماء :

"لقد اثبتت الدراسات الدقيقة ان الاقوام الأولى البدائية من البشر كانت تؤمن بنوع من الأديان وذلك لأنهم كانوايدفنون موتاهم بطريقة خاصة ، ويدفنون معهم أدوات عملهم ، وبهذا يمكن إثبات أنهم كانوا يعتقدون بوجود العالم الآخر " .[٥]

ندرك أن تلك الأقوام قد تقبلوا فكرة وجود عالم آخر بعد الموت، وإن اخطأوا السبيل اليه ،ظانين أنه لايختلف بشيء عن عالمهم

الاول ،وأن الأدوات التي كانوا يستعملونها في الدنيا تنفعهم في العالم الآخر ايضا .

٣ــ ان محكمة(الضمير) دليل آخر على أن فكره المعاد فطرية.

سبق ان قلنا اننا نشعر بكل وضوح أن هناك في داخلنا محكمة تنظر في اعمالنا واقوالنا ،تثيبنا على الحسنة منها ، فنحس على أثر ذلك بالراحة والاطمئنان والهدوء النفسي والفرح والنشاط مما لايتاتى لقلم أن يصفه .

كما أنها تعاقبنا على السيئة منها ،وعلى الأخص الذنوب الكبيرة ،فعقابها عليها يكون من الشدة والقسوة بحيث تحيل الحياة كالعلقم مرارة .

كثيرا ما لوحظ أن مجرمين بعد أن يرتكبوا جريمة كبرى، كالقتل ،ويفلتون من قبضة العدالة ،يعودون ويسلمون أنفسهم الى المحكمة ، ويمعدون المشانق طوعاً ،قائلين انهم يريدون الخلاص من عذاب الضمير .

عندما يمعن المرء فكره في هذه المحكمة الباطنية ينتابه العجب : كيف يمكن أن يوجد في داخلي مثل هذه المحكمة ، وأنا هذا الكائن الصغير ، ولاتوجود في عالم الخليقة العظيم محكمة تتناسب معه ؟

وبناء على ماتقدم نستطيع ان نثبت بثلاثة طرق فطرية الاعتقاد بالمعاد وبوجود عالم آخر بعد هذا العالم :

طريق حب البقاء .

طريق التاريخ الذي يؤكد إيمان البشر بهذه الفكرة منذ الأزمنة السحيقة .

طريق المثال المصغر الموجود في باطن الانسان .

* * *

فكر وأجب:

١. كيف يمكن تمييز الأمور الفطرية عن غير الفطرية ؟

٢ـ لماذا يحب الانسان البقاء ؟ وكيف يعتبر هذا دليلا على أن المعاد من الأمور الفطرية ؟

٣ ـ هل آمنت الاقوام القديمة بالمعاد ؟ كيف ؟

٤ـ كيف تقوم محكمة الضمير بمكافأتنا اوبمعاقبتنا ؟ اذكر نماذج لذلك .

٥ـ ما العلاقة بين محكمة الضمير والمحكمة الكبرى يوم القيامة ؟

* * *

الدرس الخامس

البعث في ميزان العدالة

إذا أمعنا النظر في نظام عالم الوجود وسنن الخلق نجد أن ثمة قانوناً يحكمها جميعاً ويضع كل شيء في مكانه المناسب .

في جسم الانسان نرى هذا النظام العادل قد ركّب فيه بدرجة من الدقة المتناهية بحيث إن أقل اختلال في توازنه يؤدي به الى الأصابة بالمرض ، أوالى الموت .

خذ مثلا ، تركيب القلب ، أوالعين ، أوالدماغ ، تجد أن كل جزء فيها قد ركب في مكانه المناسب بكل دقة وبالقدر اللازم. إن هذا التنظيم المناسب العادل لايقتصر وجوده في جسم الانسان ، بل هو سائد في كل اجزاء عالم الخليقة ، إذ :

" بالعدل قامت السموات والأرض" .

إن حجم الذرة من الدقة والصغر بحيث أنك تستطيع أن تضع ملايين منها على رأس إبرة ، فتأمل كيف يجب أن يكون تركيبها من الدقة والتنظيم بحيث يمكن لها أن تديم حياتها ملايين السنين .

إن هذا شيء من العدالة في الحسابات الدقيقة لنظام

الالكترونات والبروتونات ،ومامن جهاز صغير أوكبير يخرج عن دائرة هذا النظام العجيب .

فهل الانسان حقاً كائن استثنائي ؟ وإنه بقعة سوداء في جسد هذا العالم الكبير الأبيض ؟ وانه لهذا السبب يجب أن يسرح ويمرح حراً ، لايلتزم نظاما ويرتكب مايشاء من ظلم واعتداء ؟ أم إن هناك سراً في هذا الأمر ؟

حرية الارادة والاختيار

الحقيقة هي إن الانسان يختلف اختلافاً أساساً عن سائر الكائنات في عالم الوجود ، وهوإنه يملك حرية الارادة والاختيار .

لماذا خلقه اللّه حراً ،وأوكل اليه اتخاذ القرارات والقيام بما يشاء من أعمال ؟

السبب هو إنه لو لم يكن حراً لما استطاع أن يحقق تكامله، فهذا الامتياز الكبير هو الذي يضمن تكامله الأخلاقي والمعنوي. لو أن شخصاً اجبر بالقوة على إعانة المستضعفين والقيام بأعمال أخرى تفيد المجتمع ،فان هذه الاعمال قد تسير في طريقها ،ولكنها لن تكون دافعاً لهذا الشخص على التكامل الاخلاقي والانساني ابدا . أما إذا قام بعشر تلك الاعمال الخيرة بمحض ارادته يكون قد تقدم بالنسبة نفسها على طريق التكامل المعنوي والاخلاقي.

بناء على ذلك ، فان أول شرط من شروط التكامل المعنوي والاخلاقي هو امتلاك حرية الارادة والاختيار حتى يقوم الانسان بالسير في هذا الطريق بمحض رغبته وارادته ، لابالجبر والاكراه ، كما هي حال عناصر الطبيعة الاخرى ،فاللّه سبحانه وتعالى لم يهب الانسان هذه الهبة العظيمة إلّالهذا الغرض السامي .

بيد أن هذه النعمة الكبرى أشبه بالورد الذي يحيط به الشوك ، وهو سوء استغلال الناس لهذه الحرية والتلوث بالظلم والفساد والذنوب .

بديهي إن الله لم يكن يمنعه شيء من أن يعاقب كل ظالم فورا بعقاب يجعله يقتلع من رأسه كل فكرة عن تكرار ذلك ، كأن يشل يده ، أو يعمي بصره ، أو يخرس لسانه .

صحيح إن احداً ، في هذه الحالة ، لن يجرؤ على إساءة استعمال حريته ولن يقرب الاثم طوال حياته ، غير أن هذه العفة والتقوى تكون إجبارية قسرية ، ولا تعتبر مدعاة لافتخار الانسان واعتزازه ، بل تكون نتيجة الخوف من العقاب الصارم الفوري .

لذلك لابد أن يكون الانسان حراً وان يجتاز الامتحانات التي يقررها له الله ، وأن لا يعاقب فوراً ، إلا في حالات استثنائية ، لكي يستطيع ان يكشف عن قيمته في الوجود .

الا أن هناك موضوعاً آخر ، وهو إنه إذا استمرت الحال على هذا المنوال واختار كل طريقاً ، فان قانون العدالة الالهية الذي يسيطر على عالم الوجود يكون قد انتقض .

من هنا يتبين لنا أن هناك محكمة ودار عدالة قد عينت للبشر ، وأن على الجميع الحضور فيها بدون استثناء لينال جزاء أعماله بموجب عدالة عالم الخلق .

اليس من الواضح أن بعض أشخاص مثل نمرود وفرعون وقارون وجنكيز أعمارهم يظلمون ويعتدون ويفسدون ، ثم لا يكون وراءهم حساب ولا عقاب ؟

أيجوز أن يقف المجرمون والمتقون على قدم المساواة في كفة ميزان العدالة الإلهية ؟

أو كما يقول القرآن :

" أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون " [٦] و " أم نجعل المتقين كالفجار " [٧].

صحيح إن بعض المجرمين ينالون عقابهم على أعمالهم في هذه الدنيا ، أوجزء من ذلك العقاب ،وصحيح إن مسألة محكمة الضمير مسألة مهمة ،وصحيح ايضاً إن نتائج الذنوب والظلم والتعسف تحيق احياناً بالانسان نفسه ،ولكننا بامعان النظر في هذه الحالات الثلاث ندرك أنها ليست عامة شاملة بحيث تعم كل ظالم ومذنب فينال كل نصيبه من العقاب بما يتناسب وجريمته ، وأن هناك الكثيرين الذين يهربون من مخالب عقاب محاكمات الضمير ونتائج أعمالهم ، أو لاينالون من العقاب مايكفي .

فلأ مثال هؤلاء ،ولكي تكون هناك محكمة عدل عامة لمحاسبة الناس حتى على مقدار رأس الابرة من العمل الحسن او السيء،تقام محكمة العدل يوم القيامة ، ولأفان مبدأ العدالة لايمكن أن يتحقق .

بناء على ذلك ،فان القبول " بوجود الله " و" عدالته" يستدعي القبول بالبعث ومحكمة يوم القيامة ،و لايمكن الفصل بين هذين ابدا .

* * *

فكر وأجب :

١ـ كيف قامت السموات وا لارض بالعدل ؟

٢ـ لماذا وهب الانسان نعمة حرية الارادة وا لاختيار ؟

٣ـ ماذا كان سيحدث لو أن المسيئين نالوا عقابهم فوراً على جرائمهم في هذه الدنيا ؟

٤ـ لماذا لانستغني بثواب أعمالنا ،وبمحكمة الضمير

وبنتائج أعمالنا ،عن محكمة يوم القيامة ؟

٥- ما العلاقة بين " العدالة الالهية " و" المعاد" ؟

* * *

الدرس السادس

مشاهدة البعث في هذا العالم

يستنتج من الآيات القرآنية أن عبدة الأصنام والكفار في عصر الرسول الاكرم صلى الله غليه وآله لم يكونوا هم وحدهم الذين يستنكرون مسألة المعاد والحياة بعد الموت ويخشونها ،بل كانت أقوام في عصور سابقة ترى هذا الرأى ،وتسم القائلين به بالجنون، ونقول :

" هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد ٠ افترى على الله كذباً أم به جنة " [٨]

نعم ،يومئذ كان الناس لجهلهم وقصر نظرهم يتهمون من يعتقد بعالم مابعد الموت وبالحياة الأخروية بالجنون ،أوبالتقول على الله ،قائلين إن الزعم بانبعاث الحياة في المادة الميتة جنون٠

والذي يلفت النظر هو إن القرآن يواجه هذه الافكار بمجموعة من الاستدلالات المختلفة التي تنفع الفرد العادي كما تنفع العالم المتبحر ، كلاً على قدر مستواه العقلي ٠

وعلى الرغم من إن شرح هذه الاستدلالات القرآنية يتطلب كتابا منفصلا ،فاننا نبادر الى ذكر بعض نماذجها :

١- يخاطبهم القرآن في بعض آياته قائلا :

إنكم ترون بأم أعينكم مشاهد من المعاد في حياتكم اليومية ،فترون كيف تموت الكائنات وكيف تعود الى الحياة ،فكيف تشكون في المعاد بعد كل هذا ؟

" والله الذى ارسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور " [٩]

نجيل بانظارنا شتاءً في ملامح الطبيعة فنرى إمارات الموت ورائحته تشيع في كل مكان ، فالاشجار عارية من أوراقها وثمارها ، تقف خشبة جردا ء جافة ،فلا زهرة ضاحكة ،ولابرعم متفتح،ولانبضات للحياة تنبعث من جنبات الصحارئ وسفوح الجبال .

ثم يحل الربيع ، ويلطف الجو ، وينهمر المطر المحيي من السماء ،وإذا بحركة الحياة تجتاح الطبيعة بأسرها وتبدو جلية للعيان ،فتنمو النباتات وتورق الاشجار وتبرز البراعم والازاهير، وتبدأ الطيور تبني أعشائها بين الأغصان ،وينكشف الانبعاث العارم في كل شيء!

فلولا الحياة بعد الموت ماكنا لنشهد هذا المشهد يتكرر كل عام .ولو كانت الحياة بعد الموت مستحيلة ،ويعتبر الكلام عليها جنوناً ،لما كان كل هذايتجسد أمامناونراه بأعيننا ونتحسسه بحواسنا .

ولافرق بين إحياء الأرض بعد موتها وإحياء الانسان بعد

موته .

٢- وفي مواضع أخرى يأخذ القرآن بأيديهم ليتقدم بهم نحو بداية الخلق ،يصف لهم الخلق الاول . وعندما يتقدم أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وبيده قطعة عظم بالية ،ويصيح : يامحمد : " من يحيي العظام وهي رميم " وكأنه قد أتى بدليل لايمكن دحضه لتفنيد مسألة "المعاد" .فيأتي أمر الله الى رسوله : " قل يحييها الذي أنشأها أول مرة " .[١٠]

لافرق بين الخلق الاول والخلق المتجدد ،ولهذا تقول آية أخرى في عبارة قصيرة غنية بالمعنى :

" كما بدأنا أول خلق نعيده. "[١١]

٣- وقد يشير القرآن الى قدرة الله العظيمة بحثهم على النظر الى هذا الكون الفسيح بسمواته وأرضه ،فيقول :

" أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم. إنما امره إذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون ".[١٢]

كان الشاكون في هذه الامور اشخاصاً لم يتعد أفق تفكيرهم محيط بيوتهم الضيقة الحقيرة، وإلا لأدركوا أن العودة ثانية أسهل من الخلق الأول ،وأن إعادة الأموات الى الحياة لاتعد شيئا عصيا على قدرة الله الذي خلق السموات والأرض من قبل .

٤- واحيانا يعكس لهم انبعاث " الطاقات " قائلا :

" الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدن "[١٣]

عندما نمحص هذا التعبير العجيب في القرآن ،مستعينين بالعلوم الحديثة ،يتبين لنا ان العلم يقول :عندما نحرق اخشاب شجرة ،فان الحرارة المنبعثة من نيرانها هي الطاقه الحرارية

نفسها التي كانت الشمس تعكسها عليها اثناء سنوات حياتها والمخزونة فيها ،مع إننا كنا نظن أن أشعة الشمس على الشجرة قد ماتت وتلاشت ،ولكننا هنا نراها قد عادت الى الحياة مرة أخرى في لباس جديد .

إذن ،هل من الصعب على الله - الذي له هذه القدرة على ان يختزن لعشرات السنوات نور الشمس وحرارتها في جذع شجرة ،ثم في لحظة واحدة يخرج مخزونها - أن يحيي الأموات ؟[١٤]

وهكذا نلاحظ كيف أن القرآن باستدلاله ومنطقه الواضح يرد على الذين يشكون في المعاد ويتهمون القائلين به بالجنون، ويخرس ألسنتهم ،باثبات إمكان المعاد استنادا الى الأدلة التي اوردنا جانبا منها .

* * *

فكر وأجب:

١- لماذا كان المشركون يأخذهم العجب من فكرة المعاد؟

٢- كيف نرى مشهد المعاد في مملكة النبات كل عام ؟

٣- يعتبر القرآن في بعض آياته دورة الحمل والولادة دليلا على المعاد ،لماذا ؟

٤- ماهو بعث الطاقات ؟

٥- لماذا استدل القرآن بالشجر الأخضر ؟

* * *

الدرس السابع

المعاد وفلسفة الخلق

يتساءل الكثيرون : لماذا خلقنا اللّه ؟

وقد يتجاوزن ذلك احياناً ليسألوا : بل ماهي فلسفة خلق هذا العالم الكبير ؟

إن البستاني يزرع الشجرة من أجل ثمرها ، ويحرث الأرض ويبذر الحب من أجل غلتها ، فمن أجل أي شيء خلقنا بستاني الخليقة؟

أكان هناك ماينقص اللّه حتى يستكمله بالخلق ؟ إذا كان الأمر كذلك فهو إذن محتاج ، ولكن الاحتياج لايأتلف ومقام الربوبية و لانهائية وجوده .

للاجابة عن هذا السؤال يمكن قول الكثير ، ولكن من الممكن تلخيص ذلك في بضع جمل واضحات ، وهي :

الخطأ الكبير هو إنا نقارن صفات اللّه بصفاتنا نحن . فنحن لكوننا كائنات محدودة ، نقوم باعمالنا لكي نسد حاجة من حاجاتنا . فندرس مثلا لسد نقصنا من العلم ، ونشتغل لسد حاجتنا الى المال . ونفتش عن الطب والعلاج لضمان سلامتنا .

ولكن فيما يتعلق باللّه الذي لانهاية له من جميع الجهات، علينا أن نبحث عن أهداف مايفعله خارج ذاته . فهو لايخلق لمنفعة ولا لسد حاجة ، بل هدفه من ذلك هو أن يفيض بلطفه ووجوده على عباده .

إنه شمس مشعة لانهاية لها ،تشع بنورها ، لالحاجة بها الى ذلك ،بل لكي ينعم الجميع بنور وجودها .إن من مقتضيات ذاته اللامتناهية الفياضة أن ياخذ بيد الكائنات ويتقدم بها على طريق التكامل .

إن خلقنا من العدم يعتبر بذاته خطوة تكاملية بارزة،كما إن ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية والشرائع والقوانين ،إن هي إلا لأقواعد لهذا التكامل .

هذه الدنيا أشبه بجامعة كبيرة ،ونحن طلبتها!

هذه الدنيا أشبه بمزرعة أعدت لنا ونحن زارعوها !

هذه الدنيا متجر أولياء اللّه !

فكيف يمكن أن نقول أن ليس لهذا الخلق هدف ، مع أننا اذا نظرنا حولنا وتفحصنا جميع اجزاء الموجودات جزءاً جزءاً لوجدنا أن لكل منها هدفا .

ففي أجهزة أجسادنا لن تجد جهازاً بغير هدف ،وحتى الاهداب ولتقعر باطن القدم اهدافها .

فكيف يمكن أن يكون لاجزاء أجسامنا أهداف ،ولايكون لمجموع تلك الأجزاء أي هدف ؟

وإذا تجاوزنا كياننا وخرجنا الى العالم الخارجي الكبير، وجدنا إن لكل جهاز فيه هدفاً ،فلسطوع الشمس هدف ،ولهطول المطر هدف ،ولتركيب الهواء هدف، فهل يمكن ان لايكون للمجموع أي هدف ؟

الحقيقية هي إن في قلب هذا العالم الفسيح لوحة كبيرة تعرض الهدف النهائي الذي لانستطيع رؤيته احياناً ولاول وهلة، لعظمته . لقد كتب عليها ، " التربية والتكامل " .

* * *

والآن ، بعد أن تعرفنا على هدف الخلق على وجه العموم، يدور الكلام على ماإذا كانت هذه الحياة المعدودة أيامها ،وبكل مافيها من مشكلات وحرمان ومصائب ،هي هدف الخلق ؟

أفرض أني عشت في هذه الدنيا ستين سنة ،وأني أعمل كل يوم من الصباح حتى المساء للحصول على القوت ،وأعود الى البيت متعباً منهوكاً ،وتكون النتيجة أنني أستهلك بضعة أطنان من الطعام والماء ، وأتحمل العناء والتعب لاشيد داراً ،ثم بعد ذلك أترك كل شيء وأخرج من هذا العالم ، فهل ترى هذا الهدف يستحق أن يستدعيني الى هذا العالم المليء بالآلام والشقاء ؟

لو أن مهندساً شيد عمارة عظيمة وسط الصحراء ،وقضى سنوات طوالاً في تكميلها وتنظيمها وتجهيزها بكل وسائل الراحة، فاذا سئل : ماالغاية من بنائك هذه العمارة؟ قال : كل هدفي هو أن يمر بها عابر سبيل ولو مرة ويستريح فيها ساعة أوبعض ساعة !

أفلا يستولي علينا العجب جميعا ،ونعترض قائلين: ان استراحة ساعة لعابر سبيل لاتستوجب كل هذا العناء والتعب !

لذلك ،فان الذين لايؤمنون بالبعث وبالحياة بعد الموت، لايرون لهذه الدنيا أي هدف وأنها فارغة وعبث .وهذا القول كثيرا مايصادفنا في كتابات الماديين ويكررونه الى الحد الذي يقودهم الى الانتحار ، نتيجة لاصابتهم بالتعب والملل من حياة لاهدف لها .

إن مايعطي لهذه الدنيا هدفاً ويجعلها معقولة ومنطقية هو اعتبارها مرحلة متقدمة لعالم آخر ،وان مافيها من مشكلات ووضع

كل هذه المقدمات إنما الهدف منه أن يستفيد منه الانسان في مسيرة حياة خالدة .

كنا قد ضربنا بهذه المناسبة مثلا الجنين في رحم أمه ،فلو كان له شيء من العقل والادراك ،ويقال له : ان الحياة التي تقضيها هناك ليس بعدها شيء، لاعترض قائلا :مامعنى أن أكون سجيناً في هذا المكان وفي هذا المحيط الضيق ،أطعم الدم ،مطوي الاطواف، مرمياً في هذه الزاوية المظلمة ،ثم لايكون بعد هذا شيء،ما الذي استهدفه الخالق بهذا الخلق ؟

أما إذا أكدوا له بأن هذه الأشهر القليلة ليست سوى مرحلة عابرة يجري فيها إعدادك للخروج الى عالم جديد وحياة أطول وفي دنيا هي أوسع بكثير من دنياك الضيقة هذه ، مضيئة ورائعة ،وفيها نعم كثيرة ، عندئذ يقتنع الجنين بأن الدورة التي يقضيها في رحم أمه ليست خالية من هدف ،وهو هدف جليل يستحق تحمل عناء هذه الفترة العابرة .

يقول القرآن المجيد :

" ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون" [١٥]

خلاصة القول:إن هذا العالم يصرخ بكل كيانه أن هناك عالماً بعده ،وإلّا لكانت هذه الدنيا لغواً وعبثاً لاطائل وراءه .

استمع الى مايقوله القرآن في ذلك :

" أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون " [١٦]

أي لولا المعاد - الذي يعبر عنه القرآن بالرجوع الى اللّه لكان خلق الانسان عبثاً .

وعليه ،فان فلسفة الخلق تقول : لابد من وجود عالم آخر بعد هذا العالم .

فكر وأجب:

١ـ لماذا لايمكن مقارنة صفات اللّه بصفات مخلوقاته ؟

٢ـ ماالهدف من خلقنا ؟

٣ـ ايمكن أن تكون هذه الحياة الدنيا هي الهدف من خلق الانسان ؟

٤ـ ماالذي نتعلمه من المقارنة بين الجنين والحياة الدنيا؟

٥ـ كيف يستدل القرآن بخلق هذا العالم على وجود عالم آخر؟

* * *

الدرس الثامن

بقاء الروح دليل على البعث

لايعرف أحد منذ متى بدأ الانسان يفكر في وجود " الروح" وكل مايمكن قوله هو ان الانسان أدرك منذ البداية أن هناك اختلافاً بينه وبين كائنات هذا العالم الاخرى: الاختلاف بينه وبين الصخرة ، والخشبة ،والجبل ، والصحراء ، والحيوانات .

كان الانسان قد جرب حالة النوم،وكذلك حالة الموت . كان يرى أن الانسان ،بدون أن يتغير شيء في جسمه وهيئته ،يطرأ عليه تبدل كبير في حالته أثناء النوم وعند الموت .من هنا أدرك الانسان أن فيه " جوهراً" هو غير هذا الجسم الذى يراه .

وكان يرى أنه يختلف عن سائر الحيوانات، لأنه كان يستطيع أن يقرر أمراً وينفذه بكل حرية وحسبما يتراءى له ،بينما الحيوانات كانت محكومة لغرائزها التي تسيطر على حركاتها وتجبرها عليها.

وعلى الاخص كان يرى مشاهد في عالم النوم ،في الوقت الذي كانت فيه أجهزة الجسم خامدة وجسده ملقى في احدى الزوايا .

فادرك من هذا أن هناك قوة غامضة تهيمن على كيانه ،فأطلق عليها اسم " الروح "٠

وعندما وضع العلماء أسس الفلسفة ،وضعوا "الروح" كقضية فلسفية كبرى ضمن القضايا الاخرى ٠ومن ثم راح الفلاسفة يبدون آراءهم عن ماهية " الروح " ،حتى بلغ تعداد تلك الآراء نحو الف رأى ونظرية ،حسب قول بعض الفلاسفة الاسلاميين ،وتدور كلها حول " الروح " ومايتعلق بها ٠ إن الكلام في هذا يطول ، غير إن الأهم الذى ينبغي أن يعرفه المرء يتعلق بالجواب عن هذا السوال:

هل الروح مادة أم لا؟ وبعبارة اخرى : هل هي مستقلة أم إنها من خصائص الدماغ والاعصاب الكيمياوية والفيزياوية ؟

ثمة فريق من الفلاسفة الماديين يصرون على أن الروح والظاهرات الروحية مادية وأنها من خصائص خلايا الدماغ ،وعندما يموت الانسان ،تموت الروح معه ،بمثل الساعة التي نحطمها بضربة مطرقة فتتناثر اجزاوها ، ويتوقف عملها على أثر ذلك ٠

وفي الطرف المقابل لهؤلاء يقف الفلاسفة الالهيون،ومعهم بعض الفلاسفة الماديين الذين يقولون بأصالة الروح ٠يعتقد هؤلاء إن الروح لاتموت بموت الانسان ،بل تستمر في الحياة ٠

ولاثبات هذه المقولة ،أي أصالة الروح واستقلالها وبقائها يذكرون أدلة معقدة كثيرة ، لايسعنا هنا إلاّ أن نورد بعض أهمها وأوضحها بعبارات بسيطة لكي يعيها شبابنا العزيز :

١ــ لايمكن حشر عالم كبير في محيط ضيق

افرض إنك على ساحل البحر وخلفك جبال شاهقة نحو السماء، والامواج العاتية تصفع الصخور بقوة وترتد عنها الى البحر صاخبة٠ والصخور الضخمة عند سفح الجبل تنبئ عن الغوغاء في أعلى الجبل والسماء الزرقاء من فوق قمم الجبال تضج ليلا عظمة وجلالا ٠

تتطلع لحظة الى هذا المشهد ،ثم تغمض عينيك وتسترجع في ذهنك المشهد كما رأيته حجماً وعظمة ٠

لاشك ان هذه الخريطة الذهنية بكل حجمها وعظمتهاتحتاج الى مكان ولايمكن ان ترتسم على خلايا الدماغ الصغيرة ،وإلّافان هذه الخريطة الكبيرة يجب ان ترتسم على نقطة صغيرة ،في الوقت الذي نرى المنظر في خيالنا بحجمه الطبيعي ٠

يدل هذا على ان هناك " جوهراً " غير الدماغ وخلاياه هو الذي يستطيع أن يحتفظ بكل مشهد وخريطة مهما كبر حجمها ٠ ولاشك إن هذا الجوهر لابد أن يكون ماوراء عالم المادة ، إذ ليس في عالم المادة شيء يشبهه ٠

٢ ــ خصائص الروح الخارجية

إننا نعرف الكثير من الخصائص الفيزياوية والكيمياوية في أجسامنا ،فحركات المعدة والقلب فيزياوية،والترشحات والافرازات وعصارات المعدة كيمياوية ٠وأمثال هذه كثيرة في جسم الانسان ٠

فاذا كانت الروح والفكر مادية وناشئة من خواص خلايا الدماغ الفيزياوية والكيمياوية ،فلماذا نرى خواصها تختلف عن خواص الجسم ٠

إن الفكر والروح يربطاننا بالخارج ويخبراننا بما يحدث حولنا ٠أما الخصائص الكيمياوية كالافرازت والعصارات،والفيزياوية كحركات العين والقلب واللسان ، لاتملك مثل تلك الخصائص مطلقاً.

وبعبارة أخرى ، إننا نشعر جيداً بأننا مرتبطون بعالمنا الخارجي ، ونعرف الكثير عنه ٠ فهل دخل العالم الخارجي الى داخلنا ؟ طبعا ، لا٠ إذن ، ماالحكاية ؟

لاشك إننا نرى خارطة العالم،وإن خصيصة الروح في الظهور الخارجي هي التي تجعلنا ندرك العالم خارج وجودنا ٠إنك لاتجد هذه

الخصيصة في أي من الظاهرات الفيزياوية ولافي التفاعلات الكيماوية في أجسامنا ، فتأمل !

وهذا يعني ،بعبارة اخرى ،أن التعرف على الكائنات الخارجية العينية يتطلب نوعاً من الاحاطة العامة ،وهذه ليست من وظائف خلايا الدماغ ،فهذه إنما تتأثر بالعوامل الخارجية، مثل سائر خلايا الجسم الاخرى ٠

هذا الاختلاف يدل على أن هناك فعالية أخرى في الجسم غير التغيرات الفيزياوية والكيمياوية،فعالية تجعلنا نحيط بخارج وجودنا ، وماهذه سوى الروح ،تلك الحقيقة التي تتجاوز عالم المادة وخصائصها ٠

٣ـ الأدلة التجريبية على أصالة الروح واستقلالها

لحسن الحظ استطاع العلماء اليوم أن يثبتوا بطرق علمية وتجريبية مختلفة أصالة الروح واستقلالها ،وبذلك ردوا رداً حاسما على الذين أنكروا استقلالية الروح وقالوا إنها من خصائص المادة:

١ ـ من تلك الدلائل التنويم المغناطيسي الذى أجريت عليه تجارب كثيرة جداً ،رآها بعضهم بانفسهم وتأكدت لديهم ٠والذين لم يروا ذلك نورد لهم شرحاً بسيطا لتلك التجارب :

هناك أشخاص يستطيعون بطرق علمية خاصة ان (ينوّموا) أشخاصاً آخرين يطلق عليهم اسم (الوسطاء) ٠فيقوم المنوم بتنويم الوسيط بالايحاء اليه عن طريق التركيز الفكري ونظرات العين وغير ذلك ،فيروح الوسيط في نوم عميق ، ولكنه لايشبه النوم العادي بل هونوم يظل خلاله الارتباط بين المنوم والوسيط قائماً ،فيحدثه ويتلقى منه الجواب ٠

وبعد أن يصل الوسيط الى حالة النوم هذه ،يرسل المنوم روح الوسيط الى نقاط مختلفة ،وقد تعود باخبار جديدة ،أوتخبر عن

أمور لم يكن الشخص النائم يعرف عنها شيئاً من قبل ·
فهو مثلا قد يتكلم بلغة لم يكن يعرفها من قبل ،
وقد يستطيع ان يحل مسائل رياضية معقدة ،
أوقد يكتب أموراً على صحائف موضوعة داخل صندوق مغلق بغير أن يفتحوه ·

بل قد تظهر الروح نفسها احياناً بهيئة أشباح أوظلال واضحة في بعض جلسات التنويم المغناطيسي، وأمثال ذلك من الأمور التي شرحناها في كتاب " عود ارواح "·

٢- إحضار الأرواح ·أوا لاتصال بأرواح الأموات وإحضارها الى جلسات إحضار الأرواح، مما يدل على أصالة الروح واستقلالها ·

هنالك اليوم جمعيات روحية كثيرة منتشرةفي مختلف انحاء العالم ،ويصدر عنها - كما يقول العالم المصري المعروف فريد وجدي - اكثر من ٣٠٠ مجلة وصحيفة ،وتعقد جلسات لاحضار الأرواح يشترك فيها شخصيات معروفة حيث تستحضر الأرواح ،فتقوم بأعمال خارقة للعادة ·

وعلى الرغم من أن هناك عدداً من المشعوذين الذين يسيئون استعمال هذه الأمور بغير معرفة، فيخدعون الناس ويبتزون أموالهم، فان حقيقة وجود هذه الحالة التّي يعترف بها العلماء المختصون لايمكن انكارها ·[١٧]

هذه كلها أدلة على أصالة الروح واستقلالها وبقائها بعد الموت ،وهي خطوة موثرة نحوالمعاد والحياة بعد الموت ·

٣- ثمة أحلام ومشاهد نراها في عالم النوم تتجسم خلالها احياناً حوادث مستقبلية ،وقد نكشف احياناً عن أمور خفية الى درجة لايمكننا معها ان نعتبرها من باب الاتفاق والمصادفات ،وهذا ايضا دليل على أصالة الروح واستقلالها ·

ومعظم الناس لاشك قد مرت بهم في حياتهم مثل هذه الاحلام الصادقة ، أوأنهم في الاقل قد سمعوا بأن الحلم الذي رآه احد أصحابهم قد تحقق بحذافيره بعد مدة من الزمن ، الأمر الذي يدل على أن الروح تستطيع خلال نوم الانسان أن تتصل بعوالم اخرى وقد ترى بعض الحوادث التي ستقع في المستقبل .

جميع هذه الامور يشير بوضوح الى أن الروح ليست مادة ، وليست نتيجة خصائص دماغ الانسان الفيزياوية والكيمياوية ، بل هي حقيقة من حقائق ماوراء الطبيعة ، وإنها لاتموت بموت الجسد الذي كانت تحل فيه . وهذا مايمهد الطريق للقبول بمسالة المعاد وعالم مابعد الموت .

* * *

فكر أجب:

١ـ ما الاختلاف بين الفلاسفة الإلٰهيين وبعض الماديين في قضية الروح ؟

٢ـ ما المقصود بعدم انطباق الكبير على الصغير باعتباره دليلا على أصالة الروح ؟

٣ـ ماذا تعرف عن التنويم المغناطيسي ؟

٤ـ ماذا نقصد باستحضار الأرواح ؟

٥ـ كيف تكون الأحلام الصادقة دليلا على أصالة الروح واستقلالها ؟

* * *

الدرس التاسع

المعاد الجسماني والروحاني

من المسائل المهمة الاخرى التي تبرز في موضوع المعاد هو السؤال عما إذا كان المعاد "روحانياً" فقط، أم إنه يكون بعودة الروح والجسم معاً في العالم الآخر، وإن الانسان، بروحه وجسمه نفسيهما إنما على مستوى افضل وارفع، سوف يواصل حياته في العالم الآخر.

كان فريق من الفلاسفة القدامى يعتقد بأن المعاد يكون بالروح فقط، لانهم كانوا يعتقدون بأن الجسم تركيب خاص يختص بالعالم الدنيوي فحسب، وبأن الانسان يستغني عنه في العالم الآخر، وانه يهرع الى العالم الآخر بدون جسمه.

الا أن كبار العلماء والفلاسفة الاسلاميين يعتقدون أن عودة الانسان الى العالم الآخر يكون بروحه وبجسمه معاً، صحيح إن هذا الجسم يتحول الى تراب بعد الموت، وإن ترابه يتشتت في أرجاء الارض ويضيع، ولكن الله القادر العالم يجمع كل ذرات الجسد يوم القيامة ويضفي عليها لباس الحياة مرة اخرى، وهذا هو "المعاد

الجسماني " لانهم يرون أن عودة الروح أمر لاشك فيه، ولما كان الجدل يدور حول عودة الجسم نفسه ، فقد عبروا عن ذلك بـ" المعاد الجسماني " .

على كل حال ،إن الآيات القرآنية النازلة بهذا الخصوص، وهي كثيرة ومتنوعة ،تشير كلها الى " المعاد الجسماني " .

القرآن والمعاد الجسماني:

سبق أن تحدثنا عن الاعرابي الذي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله بقطعة عظم بالية قائلا :

" من يحيي العظام وهي رميم " ؟

فيجيبه الرسول صلى الله عليه وآله بأمر من الله :

قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون " كما جاء في آخر سورة " يس " .

وفي موضع آخر يقول القرآن :

" ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون "[١٨]

" خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كانهم جراد منتشر " .[١٩]

ونحن نعلم إن الأجداث ،وهي القبور ،تكون موضع الأجساد التي اصبحت تراباً ،وليست موضع الأرواح .

لقد كان أكثر إنكار منكري المعاد يستند الى عدم قدرتهم على تصور امكان جمع التراب المتناثر في ارجاء الارض واعادة الحياة اليه :

" وقالوا أإذا ضللنا في الارض أإنا لفي خلق

جديد "[٢٠]

فيرد عليهم اللّه قائلا :

" ألم يروا كيف يبدئ اللّه الخلق ثم يعيده إن ذلك على اللّه يسير "[٢١]

كان عرب الجاهلية يقولون :

" أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون "[٢٢]

كل هذه الآيات القرآنية وغيرها تدل دلالة واضحة على أن رسول الاسلام صلى اللّه عليه وآله قد تحدث عن " المعاد الجسماني" لان تعجب المشركين الجاهلين كان منصّباً على هذا الجانب من الموضوع، ولذلك بادر القرآن بايراد نماذج من صور المعاد الجسماني في عالم النبات وغيره مما يراه الانسان بعينه ،كأمثلة على الخلق الأول وعلى قدرة اللّه .

وبناء على ذلك فالانسان إذا كان مسلماً وقارئاً للقرآن ، لا يمكن أن ينكر المعاد الجسماني ، لأن إنكاره ،في نظر القرآن، إنكار للمعاد نفسه .

الدلائل العقلية:

إذا تجاوزنا عن ذلك ،فان العقل يقول إن الروح والجسد ليسا حقيقتين منفصلتين ، فهما مترابطان بعض ببعض بالرغم من استقلالهما بعض عن بعض ، فهما يتربيان معاً ،ويبلغان التكامل معاً، ولاشك إنهما لايستغنيان بعض عن بعض لادامة الحياة الخالدة .

واذا ماانفصلا بعض الوقت في البرزخ (الزمن الفاصل بين الدنيا والآخرة) فان ذلك لايمكن أن يكون دائمياً ،فمثلما إن الجسد بغير الروح ناقص ،كذلك الروح بغير الجسد ناقصة . إن الروح هي

الآمرة والمحركة ،والجسم هو المطيع وهوآلة التنفيذ ،فما من آمر يستغني عن المأمور ،ومامن عامل يستغني عن آلة العمل .

ولكن بما أن الروح تكون يوم القيامة في مرتبة أسمى وأرفع، فلابد للجسد ايضا أن يكون قد تكامل بالنسبة نفسها ،وهكذا سيكون كاملا ، أي إن الجسد يوم القيامة سيكون خالياً من كل العيوب والنواقص التي كانت فيه في هذه الدنيا .

على كل حال ،فان الروح والجسدقد ولدا معاً ويكمل أحدهما الآخر ،وإن المعاد لايمكن أن يكون جسمانياً فقط و لاروحانياً فقط.

وبعبارة اخرى ، تدل دراسة كيفية ظهور الجسد والروح وعلاقة كل منهما با لاخر على أن المعاد يكون لهما كليهما .

ثم إن قانون العدالة يقول ،من جهة اخرى: إن المعاد يجب أن يكون لكليهما ، لأن الانسان الذي ارتكب معصية في الدنيا قد ارتكبها بالجسد والروح معاً ،وإذا كان قد اتى بحسنة فقد أتى بهما معا . وبناء على ذلك فالعقاب والثواب يجب كذلك أن يقعا على الجسد والروح معاً ،إذ لو كان المعاد للجسد بمفرده ،أوللروح بمفردها ، لما تحققت العدالة .

أسئلة حول المعاد الجسماني:

وضع العلماء بعض الاسئلة بشان المعاد الجسماني نورد بعضها استكمالا للبحث :

١ـ توكد تجارب علماء العلوم الطبيعية أن جسم الانسان يتبدل خلال عمره عدة مرات ، فهو أشبه بحوض للسباحة حيث يصب فيه الماء من جهة وينسرب منه تدريجياً من جهة اخرى .وبديهي أن ماء الحوض يكون قد تبدل بعد مدة من الزمن .

وهذا نفسه يحدث بالنسبة لجسم الانسان ويتم مرة في نحو

سبع سنوات.وبناء على ذلك فان أجسامنا تتبدل عدة مرات خلال أعمارنا .

هنا يتبادر هذا السؤال الى الذهن :أي هذه الأجساد هو الذي يعود يوم القيامة ؟

في الاجابة على هذا السؤال نقول :آخرها ،كماقرأنا في الآيات السابقة التي جاء فيها إن الله يحيي الانسان من عظامه وتراب جسده الذي دفن تحت التراب . يستفاد من هذا أن جسده الذي مات به هو الذي يحييه الله يوم القيامة .كما إن تعبير :

" إن الله يبعث من في القبور " [٢٣]

يعني إنه يبعث الجسد الذي مات ودفن في القبور .

ولكن هذا الجسد الاخير يحمل جميع الآثار والخصائص التي كانت للانسان في أجساده الاخرى طوال حياته .وبتعبير آخر ، إن الاجساد السابقة التي تتلف تدريجياً تنقل الى الجسد التالي جميع آثارها وخصائصها . وعليه فان الجسد الأخير يكون قد ورث جميع صفات الأجساد السابقة، وبذلك يكون خليقاً بتطبيق قانون العدالة في الثواب والعقاب عليه .

٢- يقول بعضهم : إننا إذا ماأصبحنا تراباً وتحولت ذرات أجسادنا الى تراب ،وأصبحت هذه غذاء لانواع النباتات والاشجار ودخلت في الاثمار وأكلها أناس آخرون ،ومن ثم أصبحت اجزاء من أجسادهم ، فكيف تعود هذه الى الحياة يوم القيامة ؟ وهذا هو ما يعبرون عنه في الفلسفة وعلم الكلام بـ" شبهة الآكل والماكول ".

على الرغم من أن الاجابة عن هذا السؤال تتطلب الكثير من البحوث ،فاننا سنحاول أن نبسط ذلك بالقدر اللازم ،فنقول:

" ليس هناك شك في ذرات جسد احد الاشخاص التي غدت جزءاً من جسد شخص آخر تعود الى جسد

صاحبها الاول ، وهذا واضح من الآيات المذكورة سابقه

ولكن المشكلة التي تبرز هنا هي أن جسد الشخص الثاني يصبح ناقصاً ٠ولكن الحقيقة هي إنه لايصبح ناقصاً ،بل يصبح أصغر ، لأن تلك الذرات كانت قد انتشرت في جميع اجزاء الجسد ، فعندما استرجعت منه صغر ونحف بنسبة ماأخذ منه ٠

وعليه فلاالجسد الاول يزول ولاالجسد الآخر ،وكل مافي الامر هو ان الجسد الثاني يصبح صغيراً ،وليس في هذا مشكلة، لاننا نعلم إن الأجساد يوم القيامة تتكامل ويزول عنها كل نقص ، بمثلما يكبر الطفل وينمو ،أوكما ينمو لحم جديد بمكان الجرح ،بغير أن تتبدل شخصية الطفل أوالجريح ٠ فالأجساد الصغيرة والناقصة تحشر الى عالم الكمال يوم القيامة كاملة غير منقوصة ٠

وهكذا لاتبقى مشكلة بهذا الشان ٠ فتأمل !

(للمزيد من التوضيح يمكنكم الرجوع الى كتاب " معاد وجهان پس از مرگ)٠

* * *

فكر وأجب:

١ـ هل حياة الانسان يوم القيامة تشبه حياته في هذه الدنيا؟

٢ـ هل نستطيع ان ندرك في هذه الدنيا كيف يكون الثواب والعقاب يوم القيامة ؟

٣ـ هل للنعم في الجنة وللتعذيب في الجحيم جوانبها الجسمية فقط ؟

٤ـ ماالمقصود من تجسد الأعمال ،وكيف يستدل القرآن عليها ؟

٥ـ ماالمشكلات التي يحلها الاعتقاد بتجسد الأعمال في

بحث المعاد ؟

* * *

الدرس العاشر

الجنة والنار وتجسد الأعمال

كثيراً مايتساءل الناس : هل عالم بعد الموت يشبه هـذا العالم ، أم أنهما مختلفان ؟ ماذا عن الثواب والعقاب والقوانين السائدة فيه ،هل هي مثل مافي هذه الدنيا ؟

نقول في الجواب: ان هناك شواهد كثيرة تدل على أن العالم الآخر يختلف كثيراً عن هذا العالم ،بحيث إن مانعرفه عن العالم الآخر يجعله يبدو لنا كالشبح الذي نراه من بعيد .

يحسن بنا أن نعود الى مثال " الجنين " الذى ضربناه من قبل ،فبالقدر الذي يوجد من بعد بين " عالم الجنين " وهذا العالم يكون البعد بين عالمنا هذا والعالم الآخر ،أوأكثر .

ولو كان للجنين في الرحم عقل واراد ان يكون له تصور صحيح عن العالم الخارجي بالنسبة له ، عن السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والغابات والبحار ، لاستحال عليه ذلك . فالجنين الذي لايتعدى عالمه رحم امه المحدود ، لايمكن ان تعني الشمس والقمر والبحر والامواج والرياح والنسائم والزهور ومختلف مظاهر

الجمال في عالمه الخارجي أي مفهوم محدد بالنسبة له . إن قاموسه اللغوي لايتعدى بضع كلمات ،ولو ان احداً شاء ان يكلمه من خارج رحم امه (بالفرض) لما فهم منه كلا ماً .

فاختلاف عالمنا المحدود هذا مع العالم الواسع الآخريكون بهذه النسبة أوأكثر .وعليه ، فليس بامكاننا أن نحمل أي تصورعما هناك من نعم ونقم وجنة ونار وغير ذلك .

وقد جاء في حديث شريف عن الجنة :

" فيها ما لاعين رأت، ولاأذن سمعت ،ولاخطر على قلب بشر " .

وقد جاء هذا المعنى نفسه في القرآن الكريم ، إذ يقول :

" فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانو يعملون " .[٢٤]

كما إن النظم السائدة هناك مختلفة عما في هذاالعالم ايضا، فمثلا، الشهود على أعمال الانسان وأفعاله هم اعضاؤه ،يده ورجله وجلده وحتى الارض التي ارتكب العمل عليها . يقول القرآن :

" اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ".[٢٥]

و" قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء".[٢٦]

كان تصور هذه المسائل غير متيسر في الماضي ،ولكن بعد تقدم العلوم وامكان تسجيل المشاهد والاصوات لم يعد هناك مايدعو الى العجب . على كل حال ،على الرغم من أننا مانزال غير قادرين على أن نرى من شؤون العالم الآخر سوى مايشبه الشبح البعيد ،ولكن الذي ندريه هو أن العقاب والثواب في العالم الآخر يشملان الجوانب الروحانية والجسمانية، وذلك لأن المعاد يشمل كلا الجسم والروح

يقول القرآن :

" وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار .... ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون " [٢٧]

وفيما يتعلق بالمثوبات المعنوية يقول القرآن :

" ورضوان من الله أكبر " [٢٨]

نعم ،إن ادراك أهل الجنة أن الله راض عنهم وأن خالقهم قد تقبلهم يخلق فيهم احساساً بالفرح والبهجة واللذة لايمكن أن يقارن به شيء. كما أن هل النار يحسون ،بالاضافة الى العذاب الجسماني ،بغضب الله ورفضه لهم ،وهو أشد من كل عذاب .

تجسد الأعمال

يستفاد من كثير من الآيات القرآنية أن أعمالنا يوم القيامة تتجسد حية في صور مختلفة وتصاحبنا ،وأن واحدا من أنواع العقاب والثواب المهمة هوهذا التجسد نفسه . فالظلم يتجسد بصورة سحابة سوداء تحيط بالظالم ،كما جاء في حديث شريف :

" الظلم هو الظلمات يوم القيامة " .

وجاء في القرآن :

" إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا " [٢٩].

و "يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم " [٣٠].

و "الذين يأكلون الربا لايقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس " [٣١].

و" ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم اللّـه من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة " .٣٢

وهكذا سائر الأعمال الأخرى تتجسد بما يناسبها .

إننا نعلم اليوم أن العلم يقول :

المادة لاتفني ، وإنما هي تتغير من مادة الى طاقة . فالافعال والاعمال التي لاتخرج عن هاتين الحالتين ، تبقى خالدة ابدا .

إن في القرآن آية صغيرة عن يوم القيامة تهز الانسان هزاً :

" ووجدوا ماعملوا حاضراً "

والحقيقة ان كل مايصيبهم إنما هو بسبب اعمالهم ،ولذلك يضيف الى قوله :

" ولايظلم ربك احدا ".٣٣

وفي موضع آخر من القرآن نقرا عن يوم القيامة :

" يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " .٣٤

لاحظ ان الكلام يدور على "رؤية" الاعمال .

إذا قلنا إن أعمالنا في هذه الدنيا ، صغيرها وكبيرها ، وحسنها وسيئها ستبقى محفوظة ولاتفني ،وستكون معنا يوم القيامة فان ذلك لابد ان يكون انذاراً لنا جميعا لكي نتجنب الأعمال السيئة، ونعمل الصالحات أكثر .

من العجيب إن هناك اليوم أجهزة قد اخترعوها تستطيع أن تجسد لنا جانباً من هذا الموضوع في هذه الدنيا .يقول احد العلماء المعاصرين :

" لقد أمكن استعادة الامواج الصوتية التي صدرت قبل ألفي سنة من العمال المصريين الذين كانوا يشتغلون بعمل الفخار ،بحيث يمكن سماعها • ففي المتحف المصري أوان فخارية صنعت قبل ألفي سنه على الاجهزة اليدوية الخاصة بذلك • وفي اثناء صنعها انتقلت الامواج الصوتية من أيدى العمال الى تلك الأواني • واليوم استطاع العلماء أن يعيدوا الحياة الى تلك الأمواج بحيث إننا نسمعها بآذاننا •

على اي حال إن كثيراً من الاسئلة التي تدور حول مسألة المعاد والخلود وعقاب المسيئين وثواب المحسنين الواردة في القرآن المجيد ، يمكن أن يجاب عليها بأخذ عملية " تجسيد الاعمال " بنظر الاعتبار ،وذلك باعتبار أن كل عمل حسن أوسيء يترك أثره في أرواحنا ،وأن ذلك الأثر باق معنا لايفارقنا •

* * *

فكر وأجب:

١ـ هل تشبه حياة الانسان يوم القيام حياته في هذه الدنيا من جميع النواحي ؟

٢ـ هل نستطيع أن نفهم تماما في هذه الدنيا مافي يوم القيامة من ثواب وعقاب ؟

٣ـ هل النعم في الجنة والعذاب في النار جسمانية فقط ؟

٤ ـ ما المقصود بتجسد الاعمال ، وما الادلة القرآنية على ذلك ؟

٥ ـ كيف يجيب الاعتقاد بتجسد الاعمال عن الاسئلة التي تسال حول موضوع المعاد ؟

* * *

الهوامش

١- يشير المولف الى دفاع الشعب الايراني المسلم البطل ضد البعثيين العراقيين الغزاة الذين دفعهم الاستكبار العالمي لمهاجمة الثورة الاسلامية المباركة والاجهاض عليها ،فشنوا عليها في ايلول في سنة ١٩٨٩م حرباظالمة مازالت رحاها دائرة حتى كتابة هذه السطور في النصف الاول من ١٩٨٦ ان تهافت الشعب المسلم في ايران على ساحات الجهاد لم يسبق له مثيل في تاريخ العالم ابدا - المترجم .

٢- " نهج البلاغة " الخطبة ٢٢٤.

٣- سورة الكهف ، الاية ٤٩ .

٤- سورة القيامة ، الايات ١ - ٤ .

٥- " علم الاجتماع " بقلم كينكد " ص ١٩٤ .

٦- سورة " القلم " الايتان ٣٥ و ٣٦ .

٧- سورة " ص " الاية ٢٨ .

٨- سورة " سبأ" الايتان ٧ و ٨ .

٩- سورة " فاطر " الاية ٩ .

١٠- سورة " يس " الاية ٧٩ .

١١- سورة " الانبياء " الاية ١٠٣ .

١٢- سورة " يس " الآيتان ٨١ و ٨٢ .
١٣- سورة " يس " الآية ٨٠ .
١٤- نذكر بان العلم الحديث يقول ان النباتات الخضر هي القادرة على استقبال نور الشمس فتحلل بوساطته غاز الكاربونيك ،فتحتفظ بالكاربون في داخلها وتحرر غاز الاوكسجين ،وفي الوقت نفسه تختزن الطاقة الحرارية من الشمس.
١٥- سورة " الواقعة " الآية ٩٢ .
١٦- سورة " المؤمنون " الآية ١١٥ .
١٧- لمزيد من الاطلاع انظر كتابي " عود ارواح " و" معاد وجهن پس ازمرگ.
١٨- سورة " يس " الآية ٥١ .
١٩- سورة " القمر " الآية ٧ .
٢٠- سورة " السجدة " الآية ١٠ .
٢١- سورة " العنكبوت " الآية ١٩ .
٢٢- سورة "المؤمنون " الآية ٣٥ .
٢٣- سورة " الحج " الآية ٧ .
٢٤- سورة " السجدة " الآية ١٧ .
٢٥- سورة " يس " الآية ٦٥ .
٢٦- سورة " ص " الآية ٢١ .
٢٧- سورة البقرة " الآية ٢٥.
٢٨- سورة " التوبة " الآية ٧٢ .
٢٩- سورة " النساء " الآية ١٠ .
٣٠- سورة " الحديد" الآية ١٢ .
٣١- سورة "البقرة " الآية ٢٧٥ .
٣٢- سورة " آل عمران " الآية ١٨٠ .
٣٣- سورة " الكهف " الآية ٤٩ .
٣٤- سورة " الزلزلة " الآية ٦ - ٨.

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٥
الدرس الاول	
سؤال مهم : هل الموت نهاية ام بداية ؟	٧
لماذا الخوف ؟	٨
تفسير الموت بالفناء	٨
الاضابير السود	٩
نظرتان مختلفتان	١٠
الدرس الثاني	
المعاد يعطي الحياة مفهومها	١٣
الايمان بالمعاد عامل تربوى	١٥

الدرس الثالث

في اعماقنا مثال لمحكمة يوم القيامة ١٩

الدرس الرابع

المعاد في تجليات الفطرة ٢٥

حب البقاء ٢٦

يوم القيامة عند الماضين ٢٦

الدرس الخامس

البعث في ميزان العدالة ٣١

حرية الارادة والاختيار ٣٢

الدرس السادس

مشاهدة البعث في هذا العالم ٣٧

الدرس السابع

المعاد وفلسفة الخلق ٤١

الدرس الثامن

بقاء الروح دليل على البعث ٤٧

لايمكن حشر عالم كبير في محيط ضيق ٤٨

خصائص الروح الخارجية ٤٩

الادلة التجريبية على اصالة الروح واستقلالها ٥٠

الدرس التاسع

المعاد الجسماني والروحاني ٥٣

القرآن والمعاد الجسماني ٥٤

الدلائل العقلية ٥٥

اسئلة حول المعاد الجسماني ٥٦

الدرس العاشر

الجنة والنار وتجسد الاعمال ٦١

9088

تجسد الاعمال ٦٣
الهوامش ٦٧

صندوق البرید ۱۳۶۱ ـ ۱۵۸۱۵
ایران ـ طهران

VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville Pa.
SEPT-OCT 1992
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 088635311